نافذة

واقعنا اللاواقعي

الفكري السياسي، الفلسفي منه والأدبي، بأجناسه الرواية والقصة والشعر والنقد، وما يجري على مسارحنا، وما أكثر من حمل هذه الصفات في العقود الأخيرة التي انتشرت بين ظهراني بلدنا، حيث أمسى وأصبح الانفلات واستسهال الادعاء بتلك الصفات منتشرين بكثرة، فُقدت الأفكار، وأكثر من ذلك يبدو أنها انعدمت نتاج ظهور وسائط التواصل الاجتماعي واقتناص المعلومات من صفحاتها كيفما توافر، ومن ثم طباعتها وتقديمها إلى الاتحادات ودور النشر التي تمرر ذلك، لا قارئ ولا متابع ولا مدقق، أين النصوص ذوات الإشكالية المحرضة للتفكير؟ أين ذاك الشعر ومفاصله التي تغوص في أعماق الروح لتسمو بها؟ أين الرواية التي تخلب لب القارئ وتخلق منه باحثاً بين مفرداتها ليستنبط الفكرة التي تكون منها لغة قابلة للحوار مع الآخر؟ أين تلك القصة، قصيرةً كانت أم طويلةً، المنعكسة على الواقع بعد استنباطها منه؟ أين وأين سلسلة العقم الفكري المتوالي ليس هندسياً بل بشكل فوضوي، وكأن المطلوب لهذه المرحلة أن يكون الحالّ على ما هو عليه؟ ليسطو بسطاء الفكر وفاقدوه بما يبسطون على المشهد الضعيف والمأزوم نتاج ما تمرّ به الأمة السورية والعربية، والأمثلة كثيرة. فمثلاً رواية كيف سقينا الفولاذ تحولت إلى نهاية رجل شجاع، وحكمة الغرب إلى حكمة العرب، وفيلم أمريكي فاشل إلى حمام الهنا، فكر ورؤى فاشلة أو ناجحة أنجزت في العوالم الأخرى، تم تحويرها، ونُسبت بلا شرعية ولا توافق مع رؤيتنا وفكرنا، فما الغاية من كل ذلك، ومن المسؤول عنه؟ هل الواقع الفكري المغيّب تاريخياً عن المتابعة الدقيقة؟ أم إنه الذكاء السلبي الذي اجتهد على خداع العقل العربي واستمرار التلاعب فيه؟ والأنكى من ذلك أنه يلقى من يروج له.

مشروع تكاذب خطر تتشربه الأمة من دون دراية منها، يهدف لإبقائها ضمن قزمية الأفكار، ويجتهد لمنع محاولات ارتقائها المتولدة فيها، أو سحبها منها، ولنقس على ذلك الفنون السبعة، إضافة إلى الإنتاج والإبداع، لنجدها جميعاً في حالة استهلاك واستجرار وتكرار غدت معلنةً، ما أدى لحصول خلل بنيوي بين مداميك البناء الفكري، الكل يسعى لالتهام بعضه، لا يريد أن يرى من أمامه، بعد أن كان قضى على ما خلفه، وكأن به لا يريد أن يشهد أحد عليه؛ بل وحده صاحب المشهد.

من المسؤول عن كل ذلك؟ وما معنى أن نحتاج إلى التحرر السياسي العربي المسؤول الرئيس عن التحررات الاقتصادية والدينية والاجتماعية كافة؟ أين نحن من استقامة الرأي وعلو كعبه؟ أين جمهرة الثقافة، وما مصير الفكر المدعو للأخذ بيد الأمة؟ هل كنا وصلنا إلى ما نحن عليه، لو كان واقعنا السياسي العربي ممتلئاً بالجيد والمفيد؟ هل نمتلك شجاعة الاعتراف بأين نقف مما يجري الآن بشكل خاص، وأن الحاصل ما هو إلا عبارة عن تطريز وتجميل للماضي؟ ما يؤكد أننا مصرون على الانضواء تحت مظلة التأخر والتقوقع والتخلف التي تحدثت عنها في مادة سابقة، ما يشير إلى أن صور الواقع تصر على إرخاء ظلال التأخر التاريخي بعيداً عن الركب والمواكبة.

ألا تتابعون الكيفية التي تجري لإفساد الذوق العام واللغة البصرية والسمعية المراقبة للتشوهات المستمرة والممارسة على اللغة الاجتماعية الواقعية؟ ألا يقودنا كل ذلك إلى سؤال أعتقد أنه ذو أهمية هو: ما الذي تنشده السياسة من وراء كل ذلك؟ وبشكل أدق: ما سرّ سوء التعبير المراد تعميمه والالتباس الحاصل ضمن مجريات الواقع من ذاك القادر على وقف انتشار الكم وإعادة الاعتبار إلى النوع الذي ندر وجوده، أو اختبأ؟ وذلك لكيلا يضيع في زحمة فساد المشهد الفكري الذي يفترض أن يواكب التجدد والإبداع واعتماد أساليب التنمية الثقافية، كالتنمية الاقتصادية، وأخذها حيزاً ضمن سياسات التنمية الوطنية الشاملة لا الوهمية، لأن الثقافة قضية تحضّر ووعي من أجل استمرار الحياة وتطوير الوجود الإنساني والأخلاقي.

سورية الوطن والأرض والإنسان ساحة وطنية ومنبر مهم جداً ماضياً وحاضراً، ويفترض أن تكون كذلك في المستقبل القريب والبعيد، فهي ولادة فكرية وحامل رئيس لنشر الثقافات والمعارف، وعقد فريد تظهر منه عقيدة سامية تؤمن فيه، يشترك بها تنوعه وتعدده، تقف في مواجهة واقع ثقافي مأزوم يتمسك بعقد زائفة، لم يسعَ لفك واحدة منها في زمن وجوده الحديث، من نكبة فلسطين إلى تنامي الإرهاب وحصره في سورية، وفرضية انفجار الأزمة بعد اشتدادها يؤدي إلى انفراجها، حيث لم يثبت نجاعتها يوماً، لأنها تخضع لموجديها ومبرمجيها والمتعاملين معها الذين يشكلون دائماً رؤية استعلائية على المجموع، ولعبها دوراً سلبياً غايته تغييب الجماهير عن واقعهم وإدغامهم في الكلامولوجيا لغة السفسطائيين ومذهبهم اللاواقعي، بهدف الوصول إلى خلخلة وجودهم وبقاء الأمة في حالة دوران وتيه لا شبيه لهما بين الأمم.

مازال واقعنا يخوض صراعات فكرية عنيفة، يقودها ندرة من التجديديين أمام كثرة المحافظين، وبدلاً من أن تحقق النكسات المتتالية في واقع الأمة انبعاثات فكرية تأخذ بيدها نحو النهوض والبناء، نجد أن المحافظين يزدادون انتشاراً بحكم تعدد الانتماءات في الدين الإسلامي، وعدم وجود مرجعية إسلامية واحدة، وانعدام السيطرة العلمية على الدين، وتوهان الأخلاق التي يجب أن يكون الدين بنداً من بنودها لا العكس، والخلط بين الحرية الإيمانية والعبودية التجارية الشخصية للإله، ووقوع الفكر العربي بين مغامرات الحروب والتجارة، لأن تأسيسه تمّ على الغزو والغنائم، ومنه نستطيع أن نصنف العقل العربي بأنه عقل تجاري ديني مقايض، بحكم أن مرجعه الديني قام على المقايضة، برجوازي فردي لم يؤمن بالمجموع، قبلي عشائري يحب ألقاب المشيخة والزعامة والملك، ولذلك نجد أنه لم ينجح في مشروعه القومي، ولا في إنجاز اتحاد نوعي، حتى تطوره تقليدي بسيط، لماذا يكون على هذه الشاكلة؟ ولو أننا عملنا من واقعنا على واقعنا، بكل ما يعنيه، فهل كنا لنحيا الأزمات التي ما إن نخرج من واحدة حتى نقع في أخرى؟ حيث نرمي بالمسؤولية دائماً على التخلف العام، ونتوه بين نظرية المؤامرة والتخوين والخيانات المستمرة، من دون أن نقرّ بما نحن عليه، ونضع جدول أهميات، نبدأ ببناء الإنسان، نؤسسه على فهم الجمال الوطني وعلم الجميل الذي يحب الجمال، كي يقدر على استيعاب الحياة والواقع المعيش، فيبدأ ذاتياً بتطوير وجوده تحت مظلة شاملة من الوعي الوطني المهم تقويته ورفعه إلى المستويات العالمية.

د. نبيل طعمة

د. بهجت سليمان يقلّب صفحات «عظماء القرن العشرين»

الرئيس بشار الأسد «آخر عظماء هذا العصر».. والقائد الخالد «حقق آمال الجماهير السورية والعربية»

وائل العدس

صدر عن وزارة الثقافة– الهيئة العامة للكتاب، كتاب ألفه الدكتور بهجت سليمان حمل عنوان «عظماء القرن العشرين– أربعة عشر عظيماً» بطبعته الأولى.

ويروي الكتاب المؤلف من ٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط وفق التسلسل الزمني السير الذاتية لقادة كبار منذ ولادتهم وحتى رحيلهم وما حققوه من إنجازات ثمينة في سبيل نهوض أوطانهم، حيث وصف الكاتب القرن العشرين بقرن العمالقة الذين أبدعوا في صناعة التاريخ، وهم: لينين، ماو تسي تونغ، جواهر لال نهرو، جوزيف بروس تينو، هو شي منه، جمال عبد الناصر، فيدل كاسترو، حافظ الأسد، هواري بو مدين، آية الله روح الله الخميني، نيلسون مانديلا، هوغو تشافيز، السيد حسن نصر الله، بشار الأسد، حيث يقول مؤلفه: إن أجساد اثني عشر عظيماً منهم رحلت، وبقيت أرواحهم بيننا، وبقي معنا رمز أسطوري واحد هو سيد المقاومة جسداً وروحاً، وتابع: بدأ القرن الحادي والعشرون بعملاق لا ثاني له حتى اليوم، هو أسد بلاد الشام، الرئيس بشار الأسد.

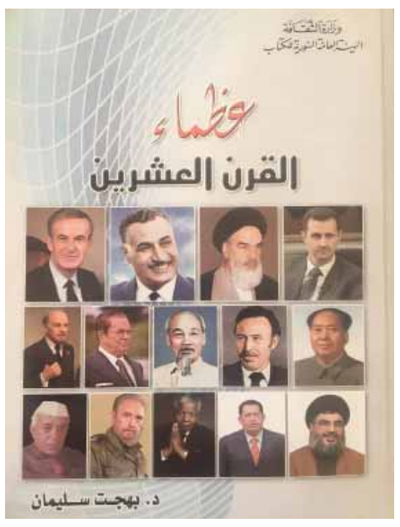

> كلينتون: عندما نظرت في وجه الرئيس حافظ الأسد رأيت التاريخ كله والعنفوان كله

في رحاب القامات الكبيرة

كتب مقدمة الكتاب وزير الثقافة محمد الأحمد تحت عنوان «في رحاب القامات الكبيرة»، فقال: ظل د. بهجت سليمان رغم انشغالاته الكبيرة كقائد عسكري وسياسي ثم مسؤول دبلوماسي، وربما بسبب هذه الانشغالات، عاشقاً شغفاً لعالم الثقافة والكتب والأفكار، بل كان ينقل معه مكتبته الضخمة العامرة حيثما ذهب وكيفما تنقل بين المناصب والمهمات، وكان يفاخر أمام زواره وجلاسه بمحتويات هذه المكتبة من نفائس الكتب. وكان أكثر ما يطربه ويمتعه مجالسة المفكرين والكتّاب والفنانين، والاستماع إليهم، ومناقشة كل القضايا الفكرية والأدبية المطروحة على الساحة الثقافية معهم.

وأضاف: ظل أيضاً أميناً لميوله الفكرية والبحثية: الاهتمام بكل ما يتعلق بدول العالم الثالث، وبالتحديد ما يتعلق بسعيها الحثيث للتحرر واتخاذ طريقها الوطني المستقل بعيداً عن إملاءات كبار هذا العالم، وبالذات دول الغرب الرأسمالي، الصغرى منها والعظمى. وهذا ليس غريباً عليه، فقد ولد وترعرع في أتون هذه المعركة النضالية التحريرية، وواكبها وكان من الناشطين فيها أيام القائد الخالد حافظ الأسد، وفي عهد الرئيس المفدى بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية.

القائد الخالد

من عظماء القرن العشرين الرئيس حافظ الأسد (١٩٣٠–٢٠٠٠) الذي «أصبح رئيساً للجمهورية العربية السورية عام ١٩٧١، وأعيد انتخابه في استفتاءات شعبية متوالية في الأعوام «١٩٩٢، ١٩٨٥، ١٩٧٨، ١٩٩٩).

وذكر د. سليمان أن «حافظ الأسد حقق آمال الجماهير العربية السورية في نضالاتها وتطلعاتها القومية، وآمال الشعب العربي السوري، بخاصة، جراء الإصلاحات السياسية الدستورية والبرلمانية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والحزبية والشعبية، وعلى نحو خاص في بنائه الجيش العربي السوري العقائدي وتسليحه وفق أحدث الأسلحة المعاصرة والمتاحة، والذي كان من نتائجه تحقيق الانتصار التاريخي على «الكيان الإسرائيلي» الغاصب في حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣».

وأضاف: «عاصر حافظ الأسد طوال فترة حكمه من التحديات والصعوبات والامتحانات التاريخية للدول والأمم والشعوب، كل ما يمكن أن يخطر وألا يخطر في بال».

وأكد أن الأسد «انتقل بسورية من عهود الانقلابات والمؤامرات والخيانات والتخلف والتبعية والمحدودية الثقافية والتخوم الاجتماعية القلقة.. إلخ، إلى مجتمع مستقر سياسياً وآمن وحضاري منافس على مستوى العالم».

وأفرد الكاتب عشر صفحات للأصدقاء والخصوم كيف نظروا إلى حافظ الأسد، ومنها ما قاله البابا شنودة: «الرئيس الأسد أهم الرجال المجاهدين، فهو يتصف بالصمود والقوة والثبات، وينبغي السير على خطاه ومساره الذي أثبت القدرة على تحدي الصعاب».

وأيضاً ما قاله الرئيس الأميركي الأسبق بيل كلينتون «هذه هي المرة الأولى في حياتي التي أحس أنني وضعت يدي بيد رئيس.. لقد أحسست بشعور لا يوصف عندما سلمت عليه، وعندما نظرت في وجهه رأيت التاريخ كله والعنفوان كله، في تلك اللحظات بالذات حمدت الله على أنه ليس رئيساً لدولة كبيرة، لأنه عند ذلك كان سيحكم العالم من دون منازع».

آخر العظماء

وصف الكاتب الرئيس بشار الأسد بأنه «آخر العظماء في هذا العصر»، وأضاف: «اكتسب العديد من الصفات الشخصية من أبيه حافظ الأسد، وبخاصة تلك المتصلة بصلابة الموقف، والثبات على المبادئ، والإخلاص للقضايا القومية العربية، والتضحية بالشخصي من أجل الوطني والقومي والإنساني، واستسهال الصعاب، والوفاء للقناعات الشخصية المبدئية المفضية إلى وضوح التفكير وحصافة السلوك والقول، والصبر على الشدائد، والبساطة التكوينية الخلقية التي تميز الرجولة المجبولة بأفضليات الحقائق».

وأوضح أن «سورية عرفت في حكم الرئيس بشار الأسد انفراجات واسعة وعصرية في جميع المجالات، وبخاصة منها الاقتصادية، إذ عمل على تطبيق إستراتيجية اقتصادية طموحة ومعاصرة، إلى جانب الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية التدريجية، بما في ذلك تهيئة مناخات «الاستثمار الاقتصادي» التشريعية والقانونية، على نحو معاصر، وتجديد البيئة التنظيمية المحفزة، والبنية التحتية، وإنشاء المدن الصناعية والمناطق الحرة، والتحرير النسبي للتجارة، وتطوير القطاع المالي والمصرفي والترخيص لمصارف وشركات تأمين خاصة، وسوق الأوراق المالية، كما تم استحداث فروع للمصارف الأجنبية، وسمح للمواطنين بفتح حسابات بالعملات الأجنبية، ورافق ذلك توفير المناخ السياسي والفكري والتشريعي الملائم للتحديث، وتطوير الأنظمة والقوانين والاهتمام بالمؤسسات القضائية، وتطوير قطاع الإعلام، وإصدار تراخيص لصحف ووسائل إعلامية خاصة، وتطوير النظام التربوي والتعليمي، والترخيص لجامعات خاصة، وتكريس العمل المؤسساتي في الهيئات الحكومية والجماهيرية، وتعزيز قيم الإبداع والمعرفة، والاستثمار في تنمية الموارد البشرية، والإشراف المباشر على عملية الإصلاح الإداري، وإحداث تطوير هيكلي في بنية الحكومة وعملها، وتيسير الإجراءات والمعاملات، ومحاولات تخفيف البيروقراطية، وأتمتة الكثير من أعمال المؤسسات الحكومية».

وفي السياسة الخارجية «كان هاجس الرئيس الأسد تعميق التحالفات المصيرية في الإقليم، وتعزيز دور ومناعة محور المقاومة، وتأصير الروابط الإنسانية المبنية على الضرورة الطبيعية والبداهات الآدمية، وفلسفة المبادلة البدهية بين الذات والآخر، وقد انصب اهتمامه على العمل لإقامة السلام العادل في المنطقة، وفي صلبه استعادة الجولان المحتل وعدالة الحق العربي في فلسطين المحتلة وسائر الأراضي والحقوق الأخرى المستلبة أو المستباحة، وتكريس مفاهيم الحق والسيادة والعدالة والشرعية الدولية في العلاقات العالمية».

رمز أسطوري

وفي الحديث عن الأمين العام لحزب الله اللبناني السيد حسن نصر الله، جاء في الكتاب أنه «رمز أسطوري من رموز مقاومة الاحتلال وقوى الاستعمار في العالم المعاصر، ويأتي على رأس لائحة القادة التاريخيين، وهو على رأس الشخصيات القليلة في العالم التي تحسب لها «إسرائيل» الحسابات الجدية، وسيبقى خالداً على مر الأجيال». ويؤكد أن «السيد نصر الله، يتمتع بشعبية كبيرة في لبنان والعالم العربي والإسلامي، محلياً وعربياً وإسلامياً وعالمياً، ويحظى باحترام الكثير من علماء المسلمين، السنّة والشيعة على حد سواء».

١١ عظيماً

ذكر الكاتب أن «لينين» ولد عام ١٨٧٠ وتوفي عام ١٩٤٢ عن عمر ٥٤ عاماً إثر نزيف حاد في الدماغ، وقال: «كان لـ«لينين» الفضل التاريخي في نهوض روسيا العالمي المعاصر، وقد كابد جميع ألوان العذاب من السجن إلى النفي إلى تنكر أقرب رفاقه له، ومع ذلك ما كان ليثنيه شيء عن تحقيق معجزته في بناء الاتحاد السوفييتي واستمراره على أفق أكثر من سبعين عاماً غيّر فيه مفاهيم العالم والفكر السياسي المعاصر، وأسهم بأكبر الفعالية في بناء نظام عالمي جديد، ومازالت آثاره شاخصة حتى اليوم وربما لا يمكن أن تزول».

وجاء في الكتاب أن «ماو تسي تونغ» ولد عام ١٨٩٣ وتوفي عام ١٩٧٦، يقول الكاتب عنه: «ترك بصمته على الحركة الشيوعية العالمية، كما ترك الأثر الأكبر في تاريخ الصين الحديثة والمعاصرة، ويمكن تتبع هذا الأثر إذا لاحظنا كيف انتزع الصين من دولة فلاحية متخلفة وفقيرة يرزح فيها المجتمع تحت نظام العبودية الإمبراطورية إلى دولة معاصرة زراعية وصناعية، أخذ بيدها إلى أن وضعها على سكة الدول العظمى، وبخاصة في دخولها النادي النووي، صناعياً وعسكرياً، وفي مجالات أخرى أيضاً، فكان بذلك أن استحق صفات الزعماء التاريخيين الذين تحولوا ببلدانهم على اتساع زاوية منفرجة كاملة».

أما جواهر لال نهرو الذي ولد عام ١٨٨٩ وتوفي عام ١٩٦٤ فجاء عنه في الكتاب: «شهدت الهند في عصر الزعيم لال نهرو تطورات حضارية سريعة، فقد أسس العديد من المنشآت العلمية، وله إسهامات باقية في إرساء معالم الديمقراطية البرلمانية، والعلمانية والليبرالية بما يتناسب مع تعدد الشعوب والقوميات والأديان الهندية المختلفة، وكان لمدة ولايته الطويلة أثر في استقرار الإستراتيجيات العامة في سياسات الهند الداخلية والخارجية على السواء».

وتطرق د. سليمان إلى الزعيم اليوغسلافي جوزيف بروس تيتو المولود عام ١٨٩٢ والمتوفى عام ١٩٨٠، وجاء أنه «وقف موقفاً صلباً ومبدئياً داعماً للحقوق العربية، وخاصة قضية فلسطين، وكان صديقاً جريئاً للعرب».

وتحدث أيضاً عن تاريخ رائد النهضة القومية في الهند الصينية ومؤسس الدولة الفيتنامية «هو شي منه» (١٨٩٠ – ١٩٦٩)، على حين وصف الرئيس الكوبي الراحل فيديل كاسترو بأنبل ثوار القرن العشرين (١٩٢٦ – ٢٠١٦).

ومرّ الكاتب على تاريخ جمال عبد الناصر (١٩١٨ – ١٩٧٠)، وقال عنه «أعظم الزعماء العرب، وكانت حياته زاخرة بالأحداث المتصلة بمصير أمتنا العربية وتاريخها المعاصر، وكانت مواقفه قومية أصيلة وصريحة ضد كل أشكال الاستعمار والاغتصاب للأرض والحقوق، وضد الصهيونية وضد مختلف صنوف وأشكال الرجعية العربية».

وقال مؤلف الكتاب: «السوريون وشرفاء العرب لا يمكن أن ينسوا موقف الجزائر بقيادة الرئيس هواري بومدين (١٩٣٢– ١٩٧٨) سواء في حرب تشرين ١٩٧٣، أم في الدفاع الصلب عن فلسطين، أو في الوقوف الفعلي ضد اتفاقيتي «كامب ديفيد» التي عقدها السادات مع الإسرائيليين».

واعتبر الكاتب أن قائد الثورة الإسلامية في إيران آية الله روح الله الخميني (١٩٠٢ – ١٩٨٩) «أحد أكثر الزعماء السياسيين نشاطاً في العالم، وهو «فيلسوف لاهوتي و«مرجع ديني» إسلامي شيعي و«رجل سياسة» من الطراز الحازم، إضافة إلى أنه «قائد ثورة»، وقد قاومت إيران في عهده وبعده الكثير من الضغوطات الرجعية العربية، والابتزاز الامبريالي والعقوبات الاقتصادية الشائنة».

ورأى الكاتب أن رئيس جنوب إفريقية نيلسون مانديلا (١٩١٨ – ٢٠١٣) «أيقونة من أيقونات النضال السياسي في القرن العشرين، قضى حياته سياسياً وثورياً ومناضلاً مناهضاً للتمييز العنصري، وستبقى عزيمته النضالية مثالاً خالداً للبطولة والوقوف في وجه الظلم العالمي، وبحثاً عن قيم التحرر والعدالة في العالم والتاريخ».

ومن العظماء الرئيس الفنزويلي هوغو تشافيز (١٩٥٤– ٢٠١٣) وجاء أنه «استطاع تحقيق نقلة اجتماعية ضخمة من خلال التركيز على رفع المستوى الاجتماعي، ومحو الأمية كهدف أساسي، والتركيز على رفع مستوى المعيشة للمواطنين من خلال تأميم النفط وإعادة توزيع عائداته على المواطنين، وكان معروفاً بعدائه للولايات المتحدة ومعاداته الشديدة لإسرائيل، وعُرف بوقوفه إلى جانب القضية الفلسطينية دائماً».

باسم دحدوح العمل الفني مرآة لذات الفنان

سوسن صيداوي

ليس سهلاً أن تحقق الدهشة للآخرين، ليس سهلاً أن تكون علامة فارقة، أو أن تكون مرجعية يُقتدى بها. كما أنه ليس من السهل أن يغلب طبعك تطبعك، وتتحدى الظرف القاسي وتخرج من ذاتك لتحتضن الإحساس العالي وتصوغه مع أفكارك وخيالاتك، رغم أنك محبوس ومقيد بأحداث الظرف. الفنان التشكيلي باسم دحدوح، هو بالذات قادر على تغييب الشعور والعمل على الحالة الحسية العالية في بناء لوحات فنية تجمع بين الخير والشر والأبيض والأسود، لوحات تجتمع مع بعضها كي نعرف المضمون الذي كان الفنان يفكر فيه عند العمل عليها، وخاصة أنه شاهد على الحياة ولا يفضل أن يجامل الجمهور.

برعاية وزارة الثقافة، افتتح الوزير محمد الأحمد معرض الفنان باسم دحدوح، الذي يضم ٢٥ لوحة تشكيلية بعنوان (الثور الإنسان– الإنسان الثور)، والمقام في صالة الآرت هاوس بدمشق، مستمراً لغاية ١٠ أيار.

اللوحة لا تقول كل شيء

افتتح وزير الثقافة المعرض، وفي تصريح له قال: «ذكرني المعرض بما قاله الشاعر نزار قباني عندما سُئل عن الشكل الشعري... بأنه يجب ألا يكون وثناً لأحد، بل لابد من إحداث ما يسمى الانقلاب من داخل هذا الشكل، لأننا نحن الذين نخلق الشكل، لا الشكل يخلقنا. هذا حقيقة ما تكون لدي من انطباع عن هذا المعرض المهم جداً، حول ثيمة «الإنسان الثور أو الثور الإنسان». ومن خلال الفنان باسم ولوحات معرضه هذا، لا تشعر بوجود تابوهات، بل على العكس تشعر بحرية كبيرة بقصد الشكل المروي، وخلال مشاهدتي للوحات كنا نتكلم عن اللون والخط، فالفنان من أساتذة هذا الفن، وهو قادر على تحقيق التوازن الخطر بين المسألتين، كما شعرت، وهذا أمر لا يراودني كثيرا، بأن اللوحة الواحدة لا تقول كلّ شيء، وإنما تتدرج المقولة من لوحة إلى أخرى، وربما يحتاج الفنان لعدة لوحات لكي يصل إلى المضمون الذي يريده، حقيقة أنا سعيد بهذا المعرض، وسعيد أنه في سورية وخلال هذه الأزمة، بأننا نستطيع أن نستنبط من الأزمة التي مررنا فيها فنا رفيعا، وأنا أعتقد دائماً أن قدر الأمم العريقة أنها تقدم فنها الراقي سنوات الشدة».

دحدوح... أنا شاهد على الفترة

استطاع الفنان باسم دحدوح أن يحقق غايته في معرضه، وهو تحقيق المفاجأة للمشاهد، الذي يرى، للمرة الأولى، الأشياء متشابهة، لكنه بعد أن يتعمق بها، يجدها مختلفة، وهي في حقيقة عالمها تشبه الرسام وليست غريبة عنه، حيث أضاف: «أنا سعيد جداً لأنني قادر على تحقيق الدهشة، فسماعي بالدرجة الأولى من خلال اللوحات بأن أحقق الدهشة للمتلقين. وبالنسبة للشخوص، في البداية هي تشبه امرأ معيناً، كما لها علاقة بالظرف الذي نعيشه في هذه الفترة البشعة، وفي مراحل رسمي لها، من الداخل، أجدها تشبهني، وتشبه كل الأشياء البشعة داخلنا. والثور بمفهوم الميثيالوجيا دائماً هو رمز القوة والعنفوان، وأنا أتناوله برمزيته الشعبية «المتور» لأنني آخذ في عملي الجانب الحيواني منه، ولكن بوضع الرأس على الجسد البشري أقوم بأنسنة هذا الثور وأعطيه مسحة من الحزن. وبالطبع كان في بداية العمل على اللوحات هناك شيء من العنف والقوة والعنفوان، ولكن في آخر الأعمال كان هناك شيء من الانكسار، على ما يبدو أن العمل الفني بخلاصته، يجب أن يكون بالمرتبة الأولى مرآة لذات الفنان، وبالتالي أنا ابن فترة زمنية المفروض أن أكون شاهداً فيها. وفي اللوحات وبالعموم، لابد من وجود مساحة بيضاء، مساحة بين الخير والشر، فأنا أعمل على النقيضين الخير والشر الأبيض والأسود، وحتى في البناء الغرافيكي أكرس هذه الغاية، وهنا لابد لي من الإشارة إلى نقطة مهمة وهي، أنه أحد أسرار اللوحة ذات القيمة، تكون في البناء الغرافيكي، المدروس بطريقة علمية ومتوازنة، بمعنى يكون مريحا لعين المتلقي، والذي هو الحوار بين الأبيض والأسود وبين الخير والشر، وهو حوار بين الشعور واللاشعور، وهنا أقوم بتغييب الشعور، كي أعمل على الحالة الحسية العالية التي في داخلي ببناء غرافيكي عال، كما أنني كنت أحاول أن أؤطر الشخوص، حيث تحولت إلى صناديق وهو نوع من حصار الشخص، لأنني ببساطة أعمل في فترة زمنية، وفي مكان في سورية يعاني أزمة وفي حالة حرب ولا أريد أن أجامل الجمهور».

دحدوح... فهرس فني

من بين الحضور في المعرض كان الناقد أنور الرحبي الذي عبر عن رأيه في المعرض والفنان التشكيلي قائلا «باسم هو فهرس فني حقيقي تماما، للكشف عن الكثير من العورات الفنية، من خلال كشف طبي في الرسم، في إظهار المكنونات الآدمية البشرية، فهو ليس رساماً وليس عازفاً، بل هو قائد يدير هذه الجوقات البشرية بطريقة هو فيها معلّما، يعتمد على لون أو اثنين لكنهما قوام تجربته الذكية التي فيها الكثير من الحرفنة، باسم أنا أرفع له القبعة لأنه فنان متمكن ويرفع رأس الفنانين السوريين كلهم».

علامة بالعبقرية السورية

من بين الحضور في المعرض كانت الفنانة التشكيلية أسماء فيومي، التي كان لها رأيها في الفنان وفي لوحاته متحدثة «باسم من أهم فناني سورية وهو علامة ونقطة وإشارة إلى أن سورية فيها عباقرة، وعندما أرى هذا المعرض فهو يدل بأنه معرض لرجل عبقري، حتى إنه قد استعمل رأس الثور، والذي كله غباء، ووضعه على جسم إنسان، لأنه يحتج على الغباء في الوقت الراهن، فهناك أشخاص لا ترى الحقيقة. وفي اللوحات تجد الشخوص مقلوبة، والأبيض والأسود جميل جداً ومضغوط ضمن إطار عريض، وكأنه في تابوت، وهذا دلالة على الإنسان السوري في الوقت الراهن، وبالطبع العنف واضح، فهو يصور الإشكال في حياتنا وفلسفتها فكل الأمور متضاربة وفيها شيء من الغموض والغباء».